تقارير ندوات قرطبة

ترقية المشاركة السياسية البنّاءة للسلفيين ومعهم في شمال أفريقيا

14 سبتمبر 2012

المحررون
حليم غرابوس
فلورانس لوفر

FONDATION CORDOUE DE GENÈVE
CORDOBA FOUNDATION OF GENEVA - مؤسسة قرطبة بجنيف

© مؤسسة قرطبة بجنيف، سبتمبر 2012

Fondation Cordoue de Genève
Case postale 360
CH -1211 Genève 19

Tél: +41 (0) 22 734 15 03
Fax: +41 (0) 22 734 10 34

info@cordoue.ch
www.cordoue.ch

إعداد وتحرير: حليم غرابوس وفلورانس لوفر

تصميم: أمين لخضر

شكر وعرفان: هذه التقرير هو خلاصة نقاشات المشاركين في الدورة الأولى لورشة "ترقية المساهمة السياسية للأحزاب السياسية الجديدة ذات المرجعية الدينية" المنعقدة بتونس 10-13 سبتمبر 2012. الشكر موصول لجميع المشاركين في الورشة وفريق مؤسسة قرطبة. كما حصل هذا العمل على دعم شركائنا بقسم "الدين-السياسة-النزاع" بوزارة الاتحاد السويسري للشؤون الخارجية، نخص بالشكر كل من جون-نيكولا بيتر وكورينا مجاهد برغر.

يمكن الاطلاع على نسخة من هذا التقرير بالعربية والانجليزية في موقع مؤسسة قرطبة على الانترنيت.
الآراء الواردة في تقارير ندوات قرطبة هي ثمرة نقاش جماعي ولا تعكس بالضرورة وجهة نظر فريق مؤسسة قرطبة.
تقارير ندوات قرطبة هي ملكية لمؤسسة قرطبة بجنيف، يسمح بإعادة استعمالها أو نشرها شريطة ذكر المصدر.

© The Cordoba Foundation of Geneva, 2012

شرح المصطلحات

السلفيون

يمكن تعريف السلفية بكونها مدرسة متنوّعة في الإسلام السني تتّخذ من سيرة الرسول (ص) وسلوك الصحابة والتابعين (السلف الصالح) قدوة. ويشترك السلفيون في خطاب وسلوك معياري ذي مرجعية دينية. وتختلف المدارس والتيارات السلفية في تصوّرها للعلاقة بين الحاكم والمحكوم والمشاركة السياسية. زاد هذا التنوّع في العقود الماضية وأفضى إلى بروز تيّار يتموضع بين قطبي العزوف السياسي والمعارضة العنيفة. ويرى هذا الاتجاه الثالث أنّ التصدي للدكتاتورية الفاسدة يكون بالوسائل السياسية والمقاومة اللاعنفية. وتمّ مؤخّرًا تأسيس أحزاب وحركات سياسيّة جديدة مرتبطة بهذا التيار تنخرط في التغيير السياسي عن طريق المشاركة السياسية، لاسيّما في العمليات الانتخابية والمؤسسات العامّة .

الإنجيليون

بالنظر إلى التاريخ المعقّد لظهور البروتستانتية وكذا شعار مارتن لوثر "كل إنسان هو قسيس نفسه"، ليس هناك تعريف وحيد للإنجيلية. ويفضل أغلب الإنجيليين تعريف أنفسهم بقناعاتهم الباطنة: الإله، النصوص المقدّسة، إتباع تعاليم المسيح، النجاة عن طريق الإيمان، حبّ الله وحبّ الجار كسلوك يومي. يتواجد الإنجيليون في كنائس ومذاهب متعدّدة بالتركيز المشترك على سموّ ملكوت الله وكذا الاعتراف بالاختلافات من غير الدخول في نقاشات لاهوتية أو/و سياسية غير مجدية. تمّ التمييز، أثناء الورشة، بين الإنجيليين كتيار سياسي صارم وغير متسامح والإنجيليين كتيار مسالم ومتسامح مع الغير. يمكن اعتبار أنّ هذا الأخير يمثّل الأغلبية الصامتة بالرغم من أنّ معظم وسائل الإعلام تركّز على الفريق الأوّل.

عُقدت ورشة عمل بتونس من 10 إلى 13 سبتمبر 2012 جمعت أحزابًا وجماعات سياسية ذات مرجعية دينية من شمال أفريقيا والأمريكيتين. أدارت الورشة مؤسسة قرطبة بجنيف في إطار برنامجها لتحويل الخلافات المسمّى "شمال أفريقيا وغرب آسيا في حالة تحوّل". كان هدف اللقاء مواكبة تكامل الفاعلين السياسيين الجدد ضمن المجال السياسي الجديد، عن طريق تسهيل تبادل الخبرات في ما بينهم وكذا تحديد التحدّيات التي يواجهونها وسبل التعامل معها. وقد تمّ تنظيم النقاشات حول الأسئلة الرئيسية الآتية: لماذا ينخرط السلفيون والإنجيليون في العمل السياسي؟ كيف يتمّ الانخراط في العمل السياسي؟ ما هي التحدّيات المترتّبة عن المشاركة السياسية من طرف السلفيين والإنجيليين وكيف يمكن التعامل معها؟ وما هي مسؤوليات السلفيين والإنجيليين فيما يخصّ ترقية السلم؟

لماذا ينخرط السلفيون والإنجيليون في العمل السياسي؟

اتّفق المشاركون على أنّ العمل السياسي يمثّل، بدون شك، نوعًا من أنواع عمل الخير عندما يكون متجذّرًا في القِيم، باعتباره خدمة للخَلق تقرّب إلى الخالق. ويمكن للإيمان أن يساير السياسة كما يمكن للمؤمنين اختيار المشاركة في نظام سياسي قد يكون مخيّبا للآمال بهدف الارتقاء به الى مستوى أسمى.

إنّ الأحزاب السياسية ما هي إلا إحدى السبل المتعدّدة للتأثير في المجال السياسي، وإنّ السياقات المختلفة تستدعي أشكالًا متنوّعة للمشاركة السياسية. إنّ الهدف الأساسي من دخول عالم السياسة ليس بالضرورة جعل الدولة دينية، لكن إيجاد مجال لأهل الدين كي يشاركوا في السياسة بدون تنازلات، وكي يتأكّدوا أنّ قِيمهم مُصانة في مبادئ الحكم.

كيف يتمّ الانخراط في العمل السياسي؟ التجارب حتى الآن

بعد الثورة استغلّ سلفيّو مصر فرصة المشاركة في تطوّر الأمة بهدف تأسيس دولة القانون، وسمحت لهم الثقة المستمدّة من الشارع من تحقيق نتائج جيّدة في الانتخابات. وفي ليبيا واصل السلفيون الدور الذي حازوا عليه خلال الثورة وذلك بالتفاعل في تطوير الدولة وإصلاح المجتمع. لقد دخلوا السياسة كأفراد في البداية قبل التفكير في تأسيس أحزاب سياسية. وفي تونس شهد الربيع العربي عودة آلاف السجناء والمنفيين السياسيين المفرج عنهم إلى الحياة العامة. وكانت نتيجة هذه العزلة الطويلة بطء وتيرة اندماجهم بالسياسة. وفي المغرب تحسّن مستوى الحريات لكن النظام السياسي لم يتغيّر كثيرًا، وحتى الأطراف الدينية في الحكومة تواجه صعوبات. وبما أنّ الوقت لم يحن بعد لممارسة السياسة رسميًا، يتمّ التركيز حاليًا بالمغرب على حقوق الإنسان والتربية والدعوة. أمّا بالنسبة للإنجيليين فإنهم عندما دخلوا السياسة تغلّبوا على افتقادهم للخبرة بتعلّم كيفية التعامل مع النظام السياسي مثل التعبير عن القضايا بشكلٍ يكون مفهومًا للجميع، وكذا تكوين تحالفات مع أناس يتقاسمون معهم نفس التوجّهات.

الدين والسياسة

ناقش المشاركون كيف يمكن للجماعات ذات المرجعية الدينية ممارسة السياسة من دون التنازل عن قِيَمِهم. إنّ إيجاد طرق من أجل إفهام الغير بشكل أحسن وصياغة للقِيم الجامعة التي أفرزتها التغيّرات السياسية الأخيرة في برامجهم السياسية يستلزم ليس فقط قِيَمًا ولكن أيضًا معرفةً جيّدةً للطرق والوسائل المناسبة، وكذا القواعد الضرورية والخطاب الملائم.

عندما تتعارض القرارات السياسية مع القِيَم الدينية فإنّ المشاركين يوصون بمواصلة الجهود من أجل ترقية القِيَم وخدمة الخَلق، وكذا بتجنّب الغضب في حواراتهم واحترام الغير حتى في حال الاختلاف. يمكن أيضًا تعزيز التأثير بوسائل متنوّعة مثل التربية والتوعية والسجالات السياسية والمغالبات القانونية والعمل الوقائي.

التحدّيات البرامجية والتنظيمية

على الأحزاب الإسلامية الاستثمار اليوم في بناء المؤسسات والقيادة للانتقال من الخطاب إلى التنمية الفعلية، ويشمل ذلك تدريب الموارد البشرية على المهارات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والإدارية. كما يستلزم استعمالًا حسنًا للموارد المتوفّرة مثل الفقهاء الذين يعملون على التأصيل الشرعي للتدابير الحديثة للحكم (بما في ذلك المواطنة والديمقراطية والحريات الفردية) وغيرهم من الأخصّائيين من أجل وضع البرامج والسياسات.

ضمن الأولويات السياسية تبرز ملفات الأمن والاستقرار ومحاربة الفساد وكذا بناء الإجماع الاجتماعي. إنّ الدفع بالنمو الاقتصادي والتنمية الاجتماعية يتطلّب سياسات قوية لضمان الرفاهية والاستثمار في مشاريع اجتماعية وتربوية وصحّية، تحتاج جميعها إلى عملٍ جِواري واجتماعي.

التعامل مع "الآخر القريب"

ركّز المشاركون من الاتجاه السلفي على التحالفات كشرط للتأثير على العملية السياسية. ويعني ذلك تكاتف الجهود مع أحزاب سياسية أخرى ذات مرجعية دينية وكذا التفاني في إقناع جماعات سلفية أخرى بضرورة دعم العملية السياسية. ويمكن للتوافق أن يتمّ على أساس انشغالات مشتركة مثل الحرية والمواطنة والديمقراطية والنموّ الاقتصادي.

إنّ إحدى نتائج الاندماج في المجال السياسي هي الانتقال من المعارضة الى المسؤولية التي تتطلّب حلولًا واقعية وقرارات صعبة، ومن ذلك مسؤولية التفاعل مع الأطراف الأكثر تطرّفًا والتي تدعو إلى العنف باسم الدين، وذلك بهدف تقريبهم إلى موقف أكثر وسطية. مثال آخر هو المسؤولية في إيجاد اللغة والحجج المناسبة لمواجهة الاتهامات الداخلية بالتنازل والتي يمكن أن تصدر عن القاعدة الشعبية للحزب أو عن مرجعياته الدينية.

تمّت مناقشة أمثلة متنوّعة مثل الجهود المبذولة في مصر من أجل تفكيك خطر المجموعات العنيفة والحفاظ على الأمن الوطني، وفي ليبيا من حوار يهدف إلى رفع الوعي بالمبادئ الإسلامية في حالة النزاع والحرب، وفي تونس من تواصل مع المجموعات الشبابية المغالية، وفي المغرب من دخول في حوار مع سجناء من أجل إعادة تأويل بعض المفاهيم الدينية ونبذ العنف. وبما أنّ الأعمال المنكرة الصادرة عن مثل هذه المجموعات المغالية تؤثّر على كلّ المجتمع وخصوصا على التيار السلفي فإنّه يتعيّن الاضطلاع بمسؤولية تفعيل حوار بنّاء والعمل على تصحيح التفسيرات الخاطئة.

التعامل مع الآخر "الأكثر بعدًا"

إنّ دخول العملية الديمقراطية يستلزم التعامل مع فاعلين آخرين ذوي مرجعيات فكرية مختلفة. وعندما تُشهر المجموعات العلمانية المتطرّفة بالإسلاميين وتحاول عزل الإسلام عن السياسة فإنّ أحسن ردّة فعل، بحسب المشاركين، هي تجنّب الصدام وتأسيس فضاء للتبادل وبناء الثقة. إنّ مفتاح التعامل مع الخلافات والخصومات هو المصلحة العامة المشتركة، أي عدم تجاهل الاختلاف ولكن وضعه في مكانه الحقيقي في سلّم الأولويات. فمثلًا عندما يتعذّر التوافق حول الحريات الأساسية وحدودها، فإنّ التفكير في المصلحة العليا كأولوية يساعد في إيجاد حلول من دون تقديم تنازلات غير مقبولة.

أثناء مناقشة وضع الأقليات والمرأة في المجتمع، أكّد المشاركون السلفيون على كون التعاليم الإسلامية تضمن حقوق الأقليات الدينية وتدافع عن تعليم المرأة وعن دورها في المجتمع. كما تمّت الإشارة إلى أنّ الانطباعات الخاطئة بخصوص كيفية تعامل السلفيين مع المرأة ومع المسيحيين تُنتج خوفًا وتؤدّي إلى توتّرات يذكيها الإعلام، وذلك بالرغم من التعايش الجيّد على أرض الواقع. إنّ النقاشات وجهًا لوجه والتوضيحات غالبًا ما تنجح في نزع فتيل الخلاف. إنّ مفهوم المواطنة يكتسي قيمة كبيرة عند المجموعات الإسلامية وقد تمّ تباحثه منذ اندماجها السياسي.

عبّر الحاضرون عن أسفهم حيال بعض الاتجاهات السلوكية الغريبة فيما يخصّ السلفيين والمسلمين عمومًا، مثل تعامل الغرب بمكيالَين وعدم التفريق بين الجماعات السلفية، والانطباعات الخاطئة في ما يخصّ حقوق المرأة وكذا الاتهامات بالإرهاب الممنهجة

وغير العادلة. كما عبّروا عن تذمّرهم ممّا يعتبرونه اعتداءات متكرّرة على المسلمين، خصوصًا الحرب على العراق. وتمّ الاتفاق على التعامل مع العلاقة بالغرب بطريقة بنّاءة، وذلك من خلال إيجاد قنوات تواصل مباشرة. إنّ بناء الثقة من خلال الصراحة والصدق والتعامل على قدم المساواة هي شروط لبلوغ التفاهم المشترك.

وندّد جميع المشاركين بالاعتداءات التي أدّت إلى وفاة موظفين دبلوماسيين أمريكيين في ليبيا ودعوا إلى إيجاد طرق للحؤول دون تكرار مثل هذه الصدامات العنيفة. كما عبّروا عن أسفهم عن تشويه صورة الإسلام والاستفزازات المضرّة التي تغذّي الغضب الشعبي. إنّ التعاليم الإسلامية تحثّ المؤمن على أن لا يكون أبدًا مبادرًا لفعل الشر وتدعو إلى اللاعنف حتى مع الذين يُبدون عدم الاحترام. ويتوجّب على الأحزاب ذات المرجعية الدينية التواصل مع جماعاتهم من أجل الارتقاء بهذا الوعي.

وعبّر جميع المشاركين عن أسفهم لوجود أفكار مسبقة ونمطية لدى كلّ طرف عن الآخر، ووافقوا على أنّ مثل هذه اللقاءات ضرورية لإجراء نقاشات صادقة وتحديد مواقع الاختلاف وإيجاد أرضيّة مشتركة لخدمة الصالح العام.

تحدّيات الحياة السياسية وكيفية التعامل معها

تواجه الجماعات السلفية تحدّيات الأحكام المسبقة النمطية، والوصم والافتراء بالإضافة إلى تصويرهم كمتطرّفين أو إرهابيين أو تقديمهم كأعداء للحرية.

تعتقد الأحزاب ذات المرجعية السلفية بأنه يمكنها رفع هذا التحدّي عن طريق تحسين مهارات الاتصال وكفاءات الإعلام لديهم وبتكييف المصطلحات من أجل ترقية القِيم الإيجابية عِوضًا عن اللجوء حصرًا إلى منطق الدفاع والانتقاد. ويتوجّب عليهم كذلك اتّخاذ موقف منهجي مشترك من أجل النأي بأحزابهم بوضوح عن الأعمال المنكرة والاعتداءات العنيفة، بما في ذلك الإعلان عن مواقف تضامنية مع المجموعات المهدّدة. وعلاوة على ذلك فإنّ التواجد القويّ في الميدان والشرعية الاجتماعية يجب أن يُفعّلا من أجل الشروع في مبادرات عملية تبرهن على التزام الأحزاب بمواقفها المعلنة، وبذلك تقدّم هذه الأحزاب أمثلة عملية عن جهودها ضدّ العنف وتُظهر نتائج واضحة. إنّ إجراءات الاعتماد على النفس كهذه من شأنها أن تُقنع أكثر من الكلمات وتفتح قنوات مع الإعلام والشركاء الآخرين.

المسؤوليات فيما يخصّ ترقية السلام

بالرغم من الفرص التي نتجت عن التغيير السياسي في المنطقة مؤخّرًا فإنّ التحدّيات في مجال ترقية السلم لا تزال قائمة ممّا يستدعي الوقاية من الخلافات العنيفة والتخفيف من حدّة التوتّرات داخل وفي ما بين الدول. وعلى سبيل المثال فإنّ الخلافات الداخلية والصراعات قد تكون حادّة بين الآراء العلمانية والآراء الدينية. ويتواصل الجهد من أجل إبقاء العلاقة بنّاءة وضمان الكرامة للجميع. إنّ الوضعية الأمنية والاستقرار يشكّلان قضية انشغال بالتوازي مع استمرار الظلم والاضطهاد في بلدان متعدّدة. وتبيّن هذه الأمثلة البعد الإقليمي والمسؤوليات المتعدّية للحدود الجغرافية من أجل ترقية السلم والأمن.

تقييم وتوصيات عملية

لقد عبّر كلّ المشاركين عن تقديرهم للورشة التي كانت أوّل فرصة لمسؤولي الأحزاب ذات المرجعية السلفية في المنطقة لأن تلتقي فيما بينها ومع الميسّرين السويسريين والمشاركين من القارتين الأمريكيتين. كان لهذا الاجتماع وقعًا رمزيًا وسمح بإنشاء سياق الثقة الضروري الذي سمح بدوره بالانخراط في الحوار من دون تنازل. كما عبّر المشاركون عن رغبتهم في مواصلة النقاشات بين السلفيين وكذا التبادل مع الإنجيليين، بغرض تعميقه أكثر، مع التركيز على الحاجة إلى التعاون في مشاريع عملية.

الشيخ راشد الغنوشي، رئيس حزب النهضة، الذي التقى المشاركين في لقاء على هامش الورشة، نصح الحضور بأن يتذكّروا دائمًا التجربة المريرة مع الاستبداد وأن لا يخافوا من الحرية. وأكّد بأنّ الحرية ليست عدوّ الإسلام، وأنّ التاريخ أثبت أنّ الإسلام يزدهر مع الحرية. وأضاف بأنّ مفتاح التعامل مع الحرية هو القدرة على إدارة الخلاف بشكل سلمي لاعنفي.

المحتويات

شرح المصطلحات _____ 2

تقرير تنفيذي _____ 3

1. مقدّمة _____ 8

2. لماذا ينخرط السلفيون والإنجيليون في العمل السياسي؟ _____ 8

3. كيف يتمّ الانخراط في العمل السياسي؟ التجارب حتى الآن _____ 9

1.3 تجارب السلفيين مع السياسة 9

مصر 9

ليبيا 9

تونس 9

المغرب 10

2.3 تجارب الإنجيليين مع السياسة 10

4. ما هي التحدّيات التي تطرحها المشاركة السياسية وكيف يمكن التعامل معها؟ _____ 10

1.4 الدين والسياسة 10

1.1.4. من الدعوة إلى السياسة 10

2.1.4. عندما يتصادم الإيمان والسياسة 11

2.4 التحدّيات البرامجية والتنظيمية 11

3.4. التعامل مع "الآخر القريب" 12

1.3.4. تحالفات مبنية على القِيم 12

2.3.4. التعامل مع المُغالين 13

مصر 13

ليبيا 13

تونس 13

المغرب 14

3.3.4. التعامل مع الأنصار والمرجعيات الدينية 14

4.4. التعامل مع "الآخر الأكثر بعدًا" 14
1.4.4. إدارة النزاعات ومعالجة الخلافات 14
2.4.4. التنوّع 15
3.4.4. التعامل مع الغرب 16
أهمية الحوار مع الغرب 16
ردود الفعل تجاه التشهير بالإسلام 17
5. ما هي تحدّيات الحياة السياسية وما هي كيفية التعامل معها؟ _____ 17
6. ما هي المسؤوليات التي تقع على عاتق المتديّنين فما يتعلّق بترقية السلم؟ _____ 18
7. تقييم وتوصيات عملية _____ 19
على المستوى السلفي داخليًا 19
بين السلفيين وغيرهم من الفاعلين السياسيين ذوي المرجعية الدينية 19
ملحق: الشيخ راشد الغنوشي يخاطب الورشة _____ 20

1. مقدّمة

إنّ التغيّرات الكبيرة التي حدثت منذ يناير 2011 في شمال أفريقيا والشرق الأوسط أدّت الى انفتاح المجال السياسي وبروز أحزاب وحركات سياسية جديدة، من بينها أحزاب وحركات ذات مرجعية دينية بما فيها السلفيون. وعلى الرغم من أنّ الاندماج السياسي للسلفيين يطرح تساؤلات محدّدة ويُبرز تحدّيات متنوّعة نظرًا لمرجعيتهم الدينية، فإنّ اندماجهم، إذا نجح، يمكنه أن يُساهم في الانتقال السلمي والسلس وبتهدئة المناخ السياسي في المنطقة.

وفي إطار برنامج البحث التطبيقي "شمال أفريقيا وغرب آسيا في حالة تحوّل"، الذي يهدف إلى تقوية آليات تحويل الخلافات السياسية العنيفة أو التي يمكن أن تأخذ منحى عنيفًا في شمال أفريقيا والشرق الأوسط، بادرت مؤسسة قرطبة بجنيف إلى تنظيم ورشة عمل بتونس بين 10 و 13 سبتمبر 2012، حول موضوع "ترقية المشاركة السياسية البنّاءة للسلفيين ومعهم في شمال أفريقيا".

كانت الورشة مواصلة لأشغال اجتماع عُقد بتونس في يونيو 2012، على هامش أعمال "عملية نيون"، جمع قيادات أحزاب ذات مرجعية سلفية مصرية وتونسية. وكانت قد طُرحت أثناء تبادل الآراء في اجتماع يونيو قضايا مختلفة، خاصة الحاجة إلى مواكبة الاندماج السياسي للأحزاب ذات المرجعية السلفية وإحداث تواصل أفقي فيما بينها، وكذلك أهمية التمييز بين السلفيين لأنهم ليسوا مدرسة فكرية واحدة، بل يمثّلون طيفًا متنوّعًا فيما يخصّ مواقفهم وسلوكياتهم.

جمعت الورشة أحزابًا سياسية وقيادات ذات مرجعية سلفية من أربع دول في المنطقة وهي مصر وليبيا وتونس والمغرب. وهدفت الورشة إلى مواكبة اندماج الفاعلين السلفيين في المجال السياسي الجديد، عبر تسهيل تبادل التجارب وتحديد التحدّيات الحاسمة لاندماجٍ ناجح والبحث عن الإجراءات المناسبة للتعامل معها. أمّا الجزء الثاني من اللقاء فقد خُصّص لتبادل الآراء مع ممثّلي الإنجيليين من الأمريكيتين الذين كانوا قد مرّوا بنفس التجربة وواجهوا نفس التحدّيات إبّان دخولهم معترك السياسة.

يقدّم هذا التقرير ملخّصًا تحليليًا للنقاشات التي دارت وفق قواعد "تشاتم هاوس"، لذلك فإنّ الآراء والأفكار المذكورة غير منسوبة للأفراد المتدخّلين بل تمّ تلخيصها لإعطاء فكرة عامّة عن النقاشات. ويتمحور التقرير حول الأسئلة الرئيسية الآتية:

— لماذا ينخرط السلفيون والإنجيليون في العمل السياسي؟

— كيف يتمّ الانخراط في العمل السياسي؟

— ما هي التحديات التي تطرحها المشاركة السياسية وكيف يمكن التعامل معها؟

— ما هي مسؤوليات السلفيين والإنجيليين فيما يخص ترقية السلم؟

2. لماذا ينخرط السلفيون والإنجيليون في العمل السياسي؟

تمّ تباحث دوافع العمل السياسي بشكل مستفيض في محاولة لتحديد ما إذا كانت المشاركة السياسة للسلفيين والإنجيليين ذات دافع ديني أم اعتبارات براغماتية.

واتّفق المشاركون المسلمون على أنّ السياسة يمكن أن تصبح "مستنقعًا من الأوحال" إذا خلت من القِيم وتحوّلت إلى مجرّد حمايةٍ للامتيازات وتقديمٍ للتنازلات، لكن لا شك أنها تمثّل عملًا من أعمال الخير التي تقرّب إلى الله عندما تكون متجذّرة في القِيم. فالسياسة هي خدمة الخَلق وبناء عليه فهي طاعة من الطاعات إن كانت مصحوبة بالصدق في النية.

ففي التعاليم الإسلامية مجال عمل الخير واسع لا يتوقّف عند العمل الإنساني فحسب، بل يشمل كل مناحي الحياة، بما في ذلك حماية وترقية الكرامة الإنسانية وحقوق الإنسان، وتحويل الخلافات وترقية السلم. وإذا كان السياسي يعتبر نفسه خادمًا للمجتمع، فهو بذلك يقوم بفعل الخير.

ذكر أحد المشاركين المسلمين "أنّ السياسة كانت دائمًا جزءًا وثيقًا من الإسلام، حتى وإن كنّا نُعيد اكتشاف هذه الحقيقة الآن فقط بعد أن استعدنا الحرية السياسية".

وأكّد الإنجيليون أنّ أفضل طريقة لممارسة الحكم والديمقراطية تتمثّل في خدمة الخَلق بشكل عامّ وفي خدمة الله بشكل خاصّ. فإنّ ممارسة السلطة الاجتماعية والسياسية (الحُكم) تتطلّب الاحتفاظ بالمسئوليّة أمام الشعب والخضوع لسيادة ربّ الكون المالك للعدل والغفران والحساب، الحافظ للنظام بإرادته العليا. إنّ دور الحكومة

هو الحماية والحفاظ على الحق في ممارسة الدين، وأن تفسح المجال العامّ للناس من مختلف العقائد كي يعيشوا كمواطنين كاملين متمتّعين بالكرامة والاحترام. إنّ الخدمة في مثل هذه الحكومة قد تمثّل بالنسبة للمؤمن إذعانًا عمليًا لله. وفي هذا الإطار وصف أحد المشاركين هدفه السياسي بأنّه "إقامة مجال يمكن فيه للإنجيليين الخوض في التيار العام للسياسة دون تفريطٍ ديني وبلا تنازلات".

يمكن للإيمان أن يتماشى مع السياسة وللمتدينين "الخيرة في المشاركة في نظام سياسي قد يكون مخيّبا للآمال، وذلك من أجل رفعه إلى مستوى أسمى، أو العزوف عن السياسة"، وكما قال أحد الإنجيليين المشاركين، "يجب أن تكون حياتي نبراسًا وأن أوظّف استقامتي ونزاهتي لكي أقدّم مثالًا يُقتدى به، حتى في الجوانب المظلمة التي أختلف معها بشدّة".

لقد اتفق المشاركون الإنجيليون على أنّ الهدف الرئيسي من دخول السياسة ليس بالضرورة جعل الدولة دينية، ولكن التأكّد من أنّ القِيم الإنجيلية يُمكن أن تُحفظ في مبادئ الحكومة. وإضافة إلى الأدوار السياسية الرسمية، فإنّ للإنجيليين في الولايات المتحدة الأمريكية مؤسساتهم ومدارسهم ومنظمات ضغطٍ تابعة لهم تُساهم كلّها في التأثير على السياسة باتجاه خدمة قِيمهم وعقيدتهم.

3. كيف يتمّ الانخراط في العمل السياسي؟ التجارب حتى الآن

1.3 تجارب السلفيين مع السياسة

مصر

قبل الثورة لم يمثّل سلفيّو مصر قوّة موحّدة. لقد كانوا أساسًا مشتغلين بالعمل الاجتماعي والخيري. وكما شرح المشارك المصري، فإنّ مواقفهم من المشاركة في الثورة كانت متباينة. وبعد الثورة بدأ السلفيون في التفكير في المشاركة السياسية ورأوا أنّ هناك فرصة كبيرة للدفع بمشروعهم وتأسيس دولة الحق أو الدولة الراشدة التي يسودها العدل والكرامة والحرّيّة. كان هدفهم المشاركة في تنمية الأمة. في البداية فكّروا في الانتظار لاكتساب خبرة أكثر قبل الالتحاق بالركب، لكن في الأخير قرّروا دخول السياسة بما توّفر لديهم من إمكانيات. لقد تلقّوا دورات تدريبية بمصر وفي الخارج، مستفيدين بذلك من دعم المحاضرين الجامعيين المتطوّعين. كما أنهم استفادوا من ثقة الشارع بهم التي أكّدتها نتائج الانتخابات.

ليبيا

على الرغم من أنه لم يكن للإسلاميين أيّ دور إبّان حكم القذافي، إلا أنهم اكتسبوا دورًا مهمًّا منذ اندلاع الثورة. وأفاد مشارك ليبي أنّ السلفيين يُمارسون السياسة على أساس قناعاتهم الدينية ويأملون في إصلاح المجتمع بكلّ شفافية وإخلاص، فهم يحاولون تنمية البلد اقتصاديًا واجتماعيًا وثقافيًا ولا يرغبون في التسبّب في أيّ خلاف، عكس ما يروّج له خصومهم عن أنّهم "ضد الحرية والحداثة".

وعلى خلاف الحالة المصرية، فإنّ مشاركة السلفيين في ليبيا تمّت أساسًا عبر أفراد وليس من خلال أحزاب سياسية. علاوة على ذلك فإنّ الفترة القصيرة جدًّا قبل الانتخابات لم تسمح للأحزاب السلفية بالتحضير الكافي، ممّا أدّى إلى قلّة تمثيلهم في المؤتمر الوطني العام. وتركّز حاليًا جمعيات سلفية عديدة على الشؤون الاجتماعية والصحية، بدعمٍ من شخصيات مؤثّرة. وهم يتابعون أيضًا عملية صياغة الدستور ويدعمون النصّ على كون الشريعة الإسلامية مصدر وحيد للتشريع.

نظرًا لضيق الوقت، كان عرض الأنشطة السياسية في ليبيا عامًّا ومجملًا دون الخوض في التفاصيل ولم تناقَش الاختلافات المحدّدة التي تتعلق بالاجتهادات في رؤى فكرية وسياسية بين الأحزاب السياسية ذات المرجعيّة السلفية.

تونس

جلب "الربيع العربي" تغييرًا ضخمًا في تونس، أفضى إلى إطلاق سراح آلاف السجناء السياسيين وعودتهم إلى الحياة العامّة، كما أشار إليه أحد المشاركين التونسيين. فإبّان حكم بن علي لم يُسمح للجماعات الإسلامية حتى بالمشاركة في العمل الاجتماعي، وأغلب المعارضين تمّ عزلهم عن المجتمع وحُكم عليهم بالسجن أو النفي. أمّا اليوم فإنّ وتيرة السلفيين في الاندماج في المجال السياسي لا تزال بطيئة. لقد تمّ التنويه إلى أنّ كلّ الحركات الإسلامية واجهت صعوبات في تونس وليس السلفيين فقط. كما تمّت الإشارة إلى أنّ الخطاب الواضح والصريح للسلفيين يسلّط الضوء على مدى تعاملهم مع السياسة بصدق.

المغرب

أفاد مشارك من المغرب بأنّ التحسّن في الحريات بعد "الربيع العربي" لم يرافقه تغيير في النظام ولا في مواقف وسلوكيات الحكّام، وبأنّ السياق لا يزال صعبًا جدًّا. وبالرغم من أنّ فاعلين سياسيين ذوي مرجعية دينية هم الآن ممثّلين سياسيًا إلّا أنّه حتى حزب العدالة والتنمية الذي شكّل حكومة يواجه عراقيل من الحاكمين الفعليين. لقد تمّ إطلاق سراح بعض الشيوخ مؤخّرًا ولكن لا يزال أبرياء آخرون قابعين في السجون. إنّ النشطاء السلفيين الذين لم يشتغلوا أبدًا بالسياسة في السابق، بل حتى لم يصوّتوا، هم الآن منشغلون بالدعوة والتربية والدفاع عن حقوقهم الأساسية وكذا بتحسين خطابهم. إنّ بعض السلفيين في المغرب دعموا بل منهم من اندمج في حزب العدالة والتنمية، بينما يرفض آخرون فكرة المشاركة.

أشار أحد المشاركين من المغرب إلى أنّ الوقت ليس مناسبًا بعدُ لتأسيس حزب سلفي كما تمّ في مصر، لأنّ السياق المغربي مختلف جدًّا عن مصر أين كانت الدعوة السلفية جدّ قوية حتّى في ظلّ حكم مبارك. إنّ السعي نحو المشاركة السياسية وإنشاء حزب سياسي لم يتمّ بعد، نظرًا لظروف الحرية السياسية بالأساس. ويجب التركيز على القِيم المشتركة التي يمكن أن تسمح بنشر السلم والرفاهية والأمن "أملًا في أن تُنقّى السياسة وتُصفّى من دنس المصالح الشخصية والنفاق".

2.3 تجارب الإنجيليين مع السياسة

في البداية كانت للإنجيليين خبرة قليلة جدًّا في التعامل مع النظام السياسي ولذلك، شرح مشارك إنجيلي، "قمنا بتدريب أناس كي يكونوا مرشّحين. لقد تعلّمنا شرح الأمور بشكل يكون مفهومًا. كان علينا العمل داخل مجموعاتنا لتتشكيل جبهة موحّدة حتّى لا نُتّهم داخليًا بالتنازل في خطابنا. لقد عملنا في شكل موحّد مع مجموعات أخرى، وشكّلنا تحالفات مع أناس يشاركوننا قناعاتنا الفكرية، بما في ذلك الكاثوليك. ووجدنا بأنه بإمكاننا أن نتحالف معهم بخصوص بعض القضايا".

أمّا بخصوص تجربة المسلمين في الولايات المتّحدة ومشاركتهم السياسية، فقد أُعطِي مثالٌ لكيفية تعلّم المسلمين في الولايات المتحدة الأمريكية للمشاركة في النظام السياسي وقبولهم. فاليوم، اثنان من 435 عضو في مجلس الشيوخ مسلمان تمّ انتخابهما بعد الحادي عشر من سبتمبر 2001، ويمثّلان دائرتين انتخابيتين ذواتي غالبية مسلمة.

4. ما هي التحدّيات التي تطرحها المشاركة السياسية وكيف يمكن التعامل معها؟

1.4 الدين والسياسة

إنّ السؤال المطروح هنا هو كيف يمكن للجماعات ذات المرجعية الدينية المشاركة في السياسة دون خسارة هُويتهم والتنازل عن قِيمهم في سياق يتواجد فيه شركاء متنوّعون بما في ذلك غير المؤمنين؟ كيف للأحزاب ذات المرجعية الدينية أن يتمّ فهمُها من طرف هؤلاء الشركاء والجمهور العام؟ وما يمكن فِعله لمّا تتعارض بعض القرارات السياسية مع القِيم؟

1.1.4. من الدعوة إلى السياسة

من بين التحدّيات الرئيسية التي تواجهها الأحزاب ذات المرجعية السلفية فور دخولها المعترك السياسي إيجاد طرق كي يتمّ فهم خطابها بشكلٍ أفضل، وإدماج القِيم الجماعية التي أفرزتها التغيّرات السياسية الأخيرة في برامجها السياسية وكذا وضع تلك القِيم قيد التنفيذ.

وتمّ التأكيد من طرف كلّ المشاركين على أهمية ترجمة القِيم الدينية إلى لغة سياسية مفهومة لدى الجميع.

تمّت الإشارة إلى أنه إذا كان العمل السياسي يحتاج إلى قِيم فإنّه يتطلّب أيضًا معرفةً جيّدة بالطرق والوسائل المناسبة وكذا القواعد اللازمة واللغة الملائمة. وإلّا فإنّه لا يمكن بلوغ النتائج المرجوّة.

وفي غياب لغة مشتركة مفهومة لدى الجميع فإنّ الباب يكون مفتوحًا لسوء الفهم أو حتى للخلاف بين الشركاء. إنّ هذه المسألة معروفة في التقاليد الإسلامية. ففي صحيح البخاري عن علي رضي الله عنه أنه قال "حدّثوا الناس بما يعرفون"، وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود أنه قال "ما أنت بمحدّث قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم إلّا كان لبعضهم فتنة".

وحسب أحد السلفيين المشاركين فإنه "إذا تكلّمتَ بشكلٍ معقّد فإنه لن يصغى إليك، عليك تطوير خطاب سياسي في جوهره، تتمّ مراجعته مسبقًا من حيث مضمونه الديني".

يرى أحد المشاركين الإنجيليين أنّ "ترجمة المنظور الإيماني إلى واقع سياسي يقتضي أخذ أحسن ما في الإيمان وإيجاد البنية الأقرب للحفاظ والدفاع عن المبادئ ذات الصلة".

أمّا أحد المشاركين من المغرب فأشار إلى أنّ "إبراز نقاوة الإسلام يقتضي المثابرة من أجل إعطائه البعد السياسي مع التأكيد على الصدق مع النفس. لكن نحتاج أيضًا الى التركيز على أن نكون مقبولين ومفهومين من طرف حكوماتنا، وبعدها فإنّ تفهّم باقي العالم لنا سيتبع ذلك ".

تمّ الاتفاق على ضرورة الرجوع إلى لغة ومؤسسات شرعية بغرض التقليل من رفض الخطاب، وينطبق هذا على ترجمة الفكر الإسلامي إلى خطاب سياسي وأيضا على ترقية حقوق الإنسان المنصوص عليها في المواثيق الدولية من خلال الرجوع إلى الحقوق التي تقابلها في الديانة الإسلامية. وبما أنّ الكثير من هذه القِيم والمبادئ الإسلامية لها صفة العالمية وهي صالحة حتى لغير المسلمين، فقد أُشير إلى أهمية عرض هذه القِيم بشكل واضح للناخبين عِوضًا عن التركيز على المرجعية العقدية، وذلك من أجل إبراز عالميتها.

2.1.4. عندما يتصادم الإيمان والسياسة

تمّ طرح مسألة تعارض القِيم الدينية مع القرارات السياسية، والاستراتيجيات التي يُمكن استخدامها عندما تفشل الأحزاب السياسية ذات المرجعية الدينية في التأثير على القرارات والعمليات السياسية.

أقرّ المشاركون المسلمون بأنّ الحركات والقيادات الإسلامية يمكن أن تواجه مثل هذا التناقض عند التعامل مع المؤسسات والسياسات التي لا تتوافق مع قيَمهم. والحلّ هو إمّا الاستقالة والاستسلام أو مواصلة العمل ومحاولة خدمة المجتمع في إطار ما هو متاح.

وبالنسبة للمشاركين الإنجيليين فإنّ إحدى الأولويات هي حثّ المؤمنين على أن يضعوا الله في صدارة اهتماماتهم وأن لا يغضبوا أثناء حواراتهم أيًّا كان الحزب أو الرأي السياسي. كما رأى أحد المشاركين الإنجيليين أنّ الحكومة تمثّل نوعًا ما النفاق بعينه، فهي تقول شيئًا وتفعل شيئًا آخر. فالسياسيون يسعَون للبحث عن القوة من أجل التأثير، وهم لا يتوانون في الكذب والخداع في سبيل ذلك. وعلى أهل الإيمان العمل في مثل هذه الظروف، "والتأكّد من أنّ كلّ من يدخل حلبة السياسة يواصل عبادة الله وليس عبادة السياسة".

وحتّى عندما تكون النتائج الإيجابية ليست واضحة للعيان بسرعة فإنّ العمل يجب أن يستمرّ في مجالات أخرى أيضا مثل مجال التربية. وتمّ إعطاء مثال عن ذلك من طرف أحد المشاركين الإنجيليين بخصوص الدروس المستفادة في مناهضتهم للإجهاض المسموح به قانونًا: "إننا لا ننجح دائمًا ولكن ردنّا هو الاستمرار في المشاركة". وذلك لا يتأتّى بالعنف كما فعل البعض ولكن بخوض معركة قضائية وسياسية متواصلة، وعمل وقائي متزايد من أجل تحسين وضعية المرأة وإيجاد طرق تسمح للنساء بالإبقاء على أجنّتهن. "ماذا يحدث عند الفشل؟ إنّ ردود فعل الناس تأتي مختلفة، فالبعض يختار الانسحاب، وآخرون يجنحون للتطرّف وحتى القتل باسم المسيحية، ويُعتبر ذلك من الكبائر. فيما يخصّنا نحن، المبدأ الذي يهمّ أكثر هو احترام الغير حتّى في سياق الاختلاف".

2.4 التحدّيات البرامجية والتنظيمية

إنّ المشاركة الحديثة للسلفيين في السياسة تُظهر بعض التحدّيات التنظيمية والبرامجية، وكذا احتياجات معيّنة فيما يخصّ التدريب، وصياغة البرنامج السياسي، الخ.

وكما أشار إليه مشارك ليبي، "إنّ الأحزاب الإسلامية تحتاج اليوم إلى الاستثمار في التدريب من أجل المساعدة على بناء المؤسسات وكذا بناء القدرات القيادية من أجل الانتقال من الخطاب إلى التنمية الفعلية في المجتمع". لقد تمّ تحديد الأولويات الآتية: " أوّلًا الملف الأمني؛ ثانيًا محاربة الفساد (المالي والإداري)؛ ثالثًا العقد الاجتماعي الذي يجب أن يتمّ بالإجماع بين المنتخِبين والمنتخَبين."

إلى وقتٍ قريب، ارتكزت قدرات المجموعات والأحزاب ذات المرجعية السلفية فيما يخص الموارد البشرية على أناس مختصّين في الدعوة أكثر منه على طاقم إداري وسياسي. وهذا راجع إلى الفصل في السابق بين المجموعات التي تشتغل بالدعوة وتلك المندرجة في شؤون السياسة والتربية. لذلك توجد حاجة ملحّة لتدريب الموارد البشرية المحترفة في المهارات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والإدارية، كي تتمكّن الأحزاب من تنظيم نفسها في شكل فِرَقٍ محترفة مع أناس موثوقٍ بهم ومتخصّصين في مجالات متنوّعة.

إنّ التجربة المصرية مهمّة للغاية من حيث إبراز أهمية الموارد المتوفّرة. أوّلا، إنّ الكثير من علماء الشريعة لديهم رؤية واضحة ويمكنهم المساعدة في تأصيل مسائل الحكم

الحديثة وفقًا للمبادئ الإسلامية. ثانيًا، إنّ عددًا كبيرًا من السلفيين هم إطارات مهنية في الطب والفن المعماري والهندسة، ويمكن، بل يجب، أن تساهم خبرتهم في وضع برامج وسياسات هذه الأحزاب. وأكّد أحد الحضور أنّ "على الأحزاب ذات المرجعية السلفية أن تستعمل القدرات العلمية المتوفّرة من أجل تقديم أجوبة لقضايا المواطنة والديمقراطية والحقوق الفردية، على سبيل المثال، وذلك ضمن إطار الشريعة الإسلامية". وفي هذا المضمار، تمكّنت بعض الأحزاب ذات المرجعية السلفية في مصر من بناء اتفاقات (إن لم تكن تحالفات) في البرلمان حول قضايا معيّنة مما يسهّل التنسيق مع شركاء آخرين يشاطرونها نفس القِيم الإسلامية.

واقترح مشارك تونسي أن يأخذ السلفيون المصريون المبادرة في تبادل الخبرة كي تتمكّن دول أخرى من الاستفادة من تجربتهم فيما يخصّ الحركات الشعبية ومجلس الشورى.

وبشكل عام، تمّ التأكيد على ضرورة الدفع للأمام بالتنمية الاقتصادية والاجتماعية بالتوازي مع الاستقرار والأمن. إنّ صياغة خطاب محلّي ذي شرعية يتطلّب توسيع الخطاب الديني كي يتضمّن هموم الناس الاجتماعية والسياسية، ويجب أن تُكتَسب التجربة الميدانية في هذا المضمار من خلال العمل الجِواري والاجتماعي.

كما يتوّجب تضمين البرامج السياسية سياسات قوية للنمو والتنمية وضمان الرفاهية للمواطنين، وكذا سياسات مُرضية للمشاريع الاجتماعية والتربوية والصحية، ضمن مقاربات تتوافق مع المبادئ الإسلامية.

وبالنسبة "للذين يتّهمون الأحزاب ذات المرجعية السلفية بالانتهازية السياسية"، كان ردّ مشارك مصري "أنّ الإجابة تكون بالتمسّك بقوّة بمُثُلنا في الإصلاح، وتقديم مساهمة ناجحة في التغيير في المجال الاقتصادي. فإذا تمكّنت الحركات الإسلامية من إدارة وتحسين ظروف البلدان والتعامل مع تحدّيات الفساد، فإنّها ستحظى بدعمٍ قويّ".

3.4 التعامل مع "الآخر القريب"

1.3.4. تحالفات مبنية على القِيم

دار النقاش حول التحدّيات التي تواجهها الأحزاب السياسية ذات المرجعية السلفية في بناء تحالفات وطرق لتنسيق الجهود على المستويين الداخلي والخارجي. ويتعيّن على الأحزاب السياسية أيضا أن تتعلّم كيف تدير علاقتها مع مرجعياتها الدينية وقواعدها الانتخابية بما في ذلك المغالين منهم وكيف تتعامل مع المخاطر التي يمكن أن تشكّلها ردود فعلهم العنيفة غير المتحكّم فيها.

بالنسبة للمشارك المصري، على السلفيين التفكير على أساس المشاركة الفعّالة. كما أنّ توحيد سلفيّي البلد الواحد جميعهم في حزب واحد أمرٌ غير واقعي، ووجود نوع من المنافسة أمرٌ مفيد. إنّ التشارك مع كلّ القوى السياسية الوطنية أمر مهمّ، كما هو الشأن بالنسبة للتنسيق بين مختلف الحركات الإسلامية من أجل الحصول على الأغلبية في البرلمان ومنه التأثير على القرارات السياسية. إنّ تواجد أحزاب مختلفة ذات مرجعية سلفية في مصر تطوّر طبيعي، أضاف المشارك المصري. إنّ هذا التنوّع مفيدٌ للشعب المصري حتى لا تُهيمن فكرةٌ معيّنة على الساحة السياسية.

يحاول ممثّلو الأحزاب التونسية ذات المرجعية السلفية توحيد الجهود وبناء جبهة، كما يثابرون من أجل إقناع غيرهم من السلفيين بدعم العملية السياسية. وسيمكّنهم ذلك من التأثير على البرلمان والمجلس الدستوري من أجل النصّ على الشريعة في الدستور، باعتبار أنّ المادة الأولى في الدستور غير كافية بالنسبة لهم. إنّ تحالفًا من أجل التقارب مع حزب النهضة يمكن أن يساعد في دعم الجهود وبناء علاقة أخوية مع الحزب، انطلاقًا من المرجعية والمحن المشتركة، على الرغم من وجود اختلافات ودرجة من التنسيق لا تزال متواضعة.

شرح ناشط ليبي مستقلّ بأنّ العلاقة بين الأحزاب الإسلامية حسنة، وأنّهم تمكّنوا من إنشاء تحالف بين هذه الأحزاب في المؤتمر الوطني العام. أمّا العلاقة بين الأحزاب العلمانية والأحزاب الإسلامية فهي مبنيّة على اتفاقات بخصوص جملة من النقاط مثل ترقية الحريات والمواطنة والديمقراطية وكذا التنمية الاقتصادية. وأضاف قائلًا: "نريد أن ننشر فكرة المواطنة التي تقبل التغيّر والتنوّع".

بالرغم من التنوّع الكبير في التفسير اللاهوتي فإنّ المجموعات المسيحية في أمريكا اللاتينية تمكّنت من العمل مجتمعةً على قضايا مشتركة. وبحسب مشارك إنجيلي فإنه "من أجل التأثير على المجتمع وإحداث تغيير فعّال فيه، نحتاج إلى شيء من العمل الموحّد". إنّ دستور كوستاريكا يمنع الطلاق والإجهاض وزواج المثليين جنسيًّا، لكن نقاشات داخل

المجتمع بدأت تدعو إلى تغييرٍ يسمح بالإجهاض وزواج المثليين جنسيًّا. نزل الإنجيليون إلى الشارع للاحتجاج فـ"التقوا أناسًا ذوي معتقدات مختلفة جدًّا واكتشفوا أنّهم يتقاسمون معهم بعض القِيم". كما أنّ اعترافهم بالحاجة إلى العمل معًا من أجل التأثير السياسي دفعهم إلى العمل على توحيد الموقف ومن ثمّ نشره في وسائل الإعلام العلمانية والدوائر الحكومية وأوساط البرلمانيين. تنامي الاحتجاج وفرض موقفهم نفسه على المجموعة الدولية، بحيث بيّنت استطلاعات الرأي أنّ غالبية الكوستاريكيين يؤيّدون الآراء المسيحية التقليدية ويرفضون التعديل الدستوري. نجح هذا المسعى في تجميد مقترح القانون وتمّ إطلاق حوار وطني. أضاف المشارك الإنجيلي: "لقد نجحنا في التعبير عن قِيمنا بلغة يفهمها الجميع، وهذا بدوره سمح للجميع بدعم قضيتنا حتى ولو لم يدخلوا في ديننا". ثم تابع قائلًا: "إنّ الكنيسة وأهل الإيمان اليوم أكثر اشتغالًا بالسياسة حيث أسّس البعض أحزابًا سياسية ويوجد إنجيليان اثنان في مجلس الشيوخ".

2.3.4. التعامل مع المُغالين

يُعتبر الانتقال من المعارضة إلى المسؤولية إحدى نتائج الانخراط في السياسة، كما يتجلّى ذلك في الحالة المصرية. وأوضح المشارك من مصر كيف "كان من السهل علينا أن نعارض ونهاجم، لكن يجب علينا الآن أن نجد حلولًا واقعية وأن نتّخذ قرارات صعبة". ويستلزم الأمر التواصل مع الأكثر غلوًّا ممّن ينزعون إلى الدعوة إلى العنف باسم الدين من أجل تقريبهم إلى الوسطية والتحقّق من عدم عرقلتهم للجهود الحزبية. كما أفاد أحد المشاركين من ليبيا: "يجب أن نصحّح الفهم الخاص بديننا لدى بعض الجماعات وأن نشرحه على أوسع نطاق".

في مصر

لجأت بعض الجماعات، بعد الثورة، إلى استعمال التكفير لتبرير القتل، حيث اتُّهمت هذه الجماعات بالتورّط في هجمات بقنابل الغاز أودت بحياة جنود مصريين، مع أنّه لا يُعرف منفّذ هذه الهجمات لحدّ الآن. وقد ردّ حزب النور وأحزاب سلفية أخرى بعقد مؤتمر فورًا لتهدئة الأمور وفتح منبر للحوار مع هذه الجماعات التي تشنّ الحرب. وأوضح المشارك المصري قائلًا: "اعتبرنا أنه من مسؤوليتنا نزع فتيل هذه المخاطر والانخراط في مسعى للمصالحة وتذكير الجميع بأنّ الأمن القومي والحدود لا يجب أن يكونا محلّ هجوم [...] نحن نحاورهم على سبيل الوقاية لتصحيح تأويلهم الخاطئ بكون هذا الشكل من التكفير إسلاميًا. كما نحاول الوصول إلى الجماعات المغالية المعزولة لحملها على الاقتراب من الوسطية والالتزام بنفس النمط من الحوار".

في ليبيا

وصف ناشط سياسي ليبي تجربة مجموعة من الأشخاص في السجن ألّفوا كتابًا تحت عنوان "دراسات تصحيحية في فهم الجهاد" "يعالج الفهم الخاطئ لأولئك الذين ينزعون إلى ردود الأفعال العنيفة، بسبب عوامل من قبيل الجهل وصغر السنّ والاضطهاد. ويُحيل الكتاب إلى علماء مسلمين ينصحون بتجنّب استعمال القوة للدفاع عن النفس ويدعون إلى صون المصالح الوطنية قبل الثأر ويشجبون الانتهاكات لاسيما تجاه الأطفال والشباب. كما نوعّي بالمواثيق ومبادئ الاحترام في الإسلام التي يجب أن تُتّبع حتى في زمن الحرب وندرّسها. وقد ساءتنا حوادثٌ وقعت للأسف بعد الثورة كالهجمات ضدّ ممثّلي اللجنة الدولية للصليب الأحمر أو حالات الاختطاف التي تتنافى مع المبادئ الاسلامية والقرآن الذي ينصّ على أنهم تحت حمايتنا في بلدنا إلى أن يغادروه". وفي هذا الإطار، تمّ الاتّفاق على مشروعيّة الدفاع عن النفس عند التعرّض للاحتلال.

في تونس

أشار مشارك من تونس من حزب الإصلاح إلى أنّ التجاذب الذي تعرفه الساحة التونسية اليوم بين العلماني المتطرّف والديني المتطرّف مردّه تاريخ المعارضة السياسية وتاريخ الحركة السلفية في البلد. إنّ الرفض الأوّلي للدكتاتورية السياسية من دون معارضة نشطة أعقبته مرحلة تدريب للشباب على قيادة المواجهة النشطة للنظام. وبعد الثورة، انخرط الكثير في السياسة وأصبحوا يجاهرون بأفكارهم، ملتقين مع جميع التيارات الإسلامية الأخرى، لكن على الرغم من ذلك، بدأ البعض يعتمد أكثر على العنف. ويعمل حزب الإصلاح الآن مع هؤلاء الشباب، في محاولة منه لمساعدتهم على الاندماج في العمل السياسي.

هناك تجربة أخرى في تونس تتمثّل في العمل مع اللاجئين الذين يعيشون في الخارج من الحائزين على تعليم غربي في سياق علماني. هؤلاء السلفيون لم ينخرطوا قطّ في العمل المسلّح وحاولوا العودة إلى تونس لكنهم لم يتمكّنوا من

الحصول على جوازات السفر. وأشار ممثّل عن حزب الأصالة إلى أنهم دُعوا حتى من قِبل الحكومة الفرنسية للتدخّل في بعض الأزمات. ويواجه العائدون من السلفيين تحدٍّ الآن في تونس من قِبل بعض الأشخاص الذين يريدون إقصاءهم من العملية السياسية. غير أنهم يودّون تحسين الأوضاع في تونس وسيستمرّون في التأثير في أنصارهم.

في المغرب

شرح ناشط مغربي كيف سُجِنَ الناس في سياق "الحرب العالمية على الإرهاب" عندما كانت الحكومة مستعدّة لاتّهام الأبرياء الذين كان "جرمهم" الوحيد هو الاشتراك في بعض المطالب المعيّنة مع المرتكِبين المفترضين لتلك الأعمال. وللأسف كانت الجهود التي قام بها النشطاء السلفيون لتصحيح هذا التضليل وإدانة الأحداث إمّا مشوّهة أو غير مسموعة.

وقد اتّحد هؤلاء المعتقلين السياسيين في السجن لإسماع صوتهم وتصحيح الافتراء عن طريق الإضراب عن الطعام والحوار مع سجناء آخرين ومراجعة وإعادة تأويل بعض المفاهيم الدينية. واسترسل الناشط المغربي: "من داخل السجن عبّرنا عن اشمئزازنا من هذا النوع من العنف، ولذلك انتُقِدنا من قِبل بعض المعتقَلين الذين اتهمونا بـتقديم التنازلات والتنكّر لقِيمنا. واستمرّت هذه الجهود لتصحيح الصورة النمطية عن السلفيين بعد "الربيع العربي" بما في ذلك بذل مجهودات للتواصل مع الأحزاب الإسلامية. وساعد ذلك في تصحيح بعض التشويه وكذا بناء علاقات احترام مع من أصبح بعد ذلك وزيرًا للعدل وساهم في الإفراج عنّا عندما تمّ تعيينه".

وألحّ مشاركون مغربيون أيضًا على أنّ الإسلام يركّز على أهمية الأمن الذي لا يمكن أن يتأتّى من دون استقرار اجتماعي واقتصادي. "لقد جاهر السلفيون في المغرب بضرورة حماية الأجانب ومن يدينون بديانات أخرى وكان لهم دورٌ كبير في محاربة الإرهاب، من خلال الشجب الممنهج للأحداث المروّعة والعنيفة، على الرغم من استمرار وسائل الإعلام في تشويه صوتنا". وتكمن خطورة اتهام السلفيين زورًا وسجن الأبرياء منهم في دفع البعض إلى كراهية المجتمع عِوضًا عن معالجة التصوّرات المغالية لدى البعض من خلال الفهم ومن خلال تقريبهم إلى الوسطية.

إنّ هذه الجهود في التعامل مع المغالين تستدعي تعبئة موقف تشاوري لحلّ بعض القضايا، بدءًا بالاتفاق على العمل وفق مبادئ الحوار والإقناع. "يحتجّ البعض بأنه من غير الضروري الحوار مع المتطرّفين من منطلق أنهم يحملون بذور فنائهم ويمكن تهميشهم. لكننا نتمنّى أن يعودوا إلى الوسطية ونلحّ على ضرورة الحديث إليهم كما يوصي بذلك نبيّنا الكريم. وحتى ولو لم ننجح في إقناعهم فإننا نكون قد ذلّلنا العقبات في وجه الحوار ونكون قد ذكّرناهم بأنماط تفكير أخرى. ومن خلال الحوار البنّاء نساعدهم على إعادة النظر في فهمهم الخاطئ بأنّ الغلوّ له أساس في الإسلام. وفي أيّ حال من الأحوال فإنّ أخطاءهم تؤثّر علينا وتُثقل كاهلنا وبالتالي فعلينا أن نتحمّل عبء هذه المسؤولية".

وتمّ التذكير بأنّ الحوار حاليًا مستمرٌّ مع بعض الجماعات المغالية التي لا تزال في السجن رغم تحدّي الوصول إليهم لوجيستيًا. كما أنّ وزير العدل بصدد وضع مخطّط للوصول إليهم.

3.3.4. التعامل مع الأنصار والمرجعيات الدينية

تتمثّل إحدى التحدّيات التي تواجه قيادات الأحزاب السياسية ذات المرجعية السلفية في إيجاد لغة مناسبة وحجج مقنِعة لمواجهة الاتهامات الداخلية التي قد يوجّهها أنصار الحزب أو مرجعياته الدينية بالتخلّي عن القِيم والحياد عن طريق الحق. ويمكن معالجة ذلك من خلال حوار مستمرّ مع المرجعيات الدينية وسياسة إعلامية مناسبة موجّهة لأعضاء الحزب والمتعاطفين معه. يجب على القيادات السياسية التحلّي بالاستباقية وتفادي أن يطلّع أنصار الحزب أو مرجعياته الدينية على القرارات السياسية الهامة للحزب من قِبل الغير كوسائل الإعلام مثلًا.

4.4 التعامل مع "الآخر الأكثر بعدًا"

1.4.4. إدارة النزاعات ومعالجة الخلافات

أوضح مشارك إنجيلي أنّ دخول المسار الديمقراطي يستلزم التعامل مع الآخرين الذين لا يتّفقون معنا في العديد من المسائل وإدارة الخلافات معهم.

وركّز الحوار مع السلفيين في هذا الموضوع على علاقتهم بالجماعات العلمانية. وهم يتأسّفون على أنه رغم حسن نواياهم إلا أنهم واجهوا استقبالًا مرًّا من قِبل القوى

العلمانية التي تتّهمهم بجميع الشرور. غير أنهم يعتقدون بأنّ العلاقة بما يمكن اعتبارهم "علمانيين متطرّفين" يجب أن تتفادى المواجهة لتهيئة قنواتٍ للحوار وبناء الثقة.

وتمّ التركيز على أنّ مبدأ المصلحة العامة يجب أن يكون المفتاح في تسيير الخلافات والنزاعات. فلا يجب تجاهل الاختلاف لكن يجب أن يوضع الخلاف في مستوى الأولوية المناسب. وتحمي مبادئ الشريعة حقوق الجميع وتُراعي الصالح العام كأولوية قصوى. وعليه فإنّ الطريقة المثلى للتعامل مع الغير هي إيجاد توافقات قائمة على المصالح المشتركة وإيجاد حلول دون القيام بتنازلات غير مقبولة.

وأشار المشارك المصري إلى أنه في حين يمكن للأحزاب ذات التوجهات السلفية والعلمانية أن تتّفق على قضايا معيّنة كالحريات الأساسية إلا أنها ستختلف حول حدود هذه الحريات. وقد بُذلت جهود في مصر في سبيل تنمية الأمة، وتطوّر التعاون مع الأحزاب العلمانية، حيث مكّن الحوار والتعامل المستمرّ مع جميع الأحزاب بما في ذلك العلمانية منها، من تجاوز بعض الفجوات في المرحلة الانتقالية.

وصف العديد من المشاركين الليبيين علاقتهم بالأحزاب العلمانية بالجيّدة لأنّ الأخيرة محافظة ومتديّنة نسبيًا. وتفاجأ المشاركون من بلدان أخرى عند اكتشافهم بأنّ مصطلح "العلماني" يمكن أن يكون مضلّلا في السياق الليبي لأنه لا يمكن لأيّ حزب في البلاد أن يختلف عن أيّ أمر متجذّر في الإسلام. واعتبر مشارك آخر من ليبيا أنّ التيارات الإسلامية والعلمانية تتّفق على 90% من القضايا. وعلى الرغم من هذا السياق التوافقي لا يمكن للتعاون مع العلمانيين أن يؤدي دومًا إلى توافق، مثلًا حول بعض النقاط المتعلّقة بالحريات التي تضع عليها الشريعة حدودًا واضحة. وأظهرت تجربة أوّل انتخابات في ليبيا بأنّ الأحزاب العلمانية منقسمة بين معتدلة ومتطرّفة، وبأنّ بعض "الأحزاب العلمانية المتطرفة" تتطلّع لعزل الإسلاميين عن السياسة. في أيّ حال من الأحوال يتعيّن القيام بنقاشات مباشرة من دون مواجهة ويبقى الحوار السبيل الأمثل لطرح القضايا الغامضة وتوضيحها.

وأضاف المشارك قائلًا: "يجب أن نتعلّم التعامل مع من لديهم رؤى مغايرة لرؤانا. ويعدّ التنسيق أو التحالف أو أيّ شكل من أشكال الاندماج شرطًا يمكّن من التأثير. وحتّى نضمن أنّنا لا نتنازل عن القِيم، يجب أن نعود إلى المرجعيات الدينية والعلمية للاتفاق على تأويلٍ مناسبٍ للإسلام."

بالمقارنة مع مصر وليبيا فإنّ العلاقة مع العلمانيين في المغرب تبدو أكثر صعوبة، ويبدو التشهير بالسلفيين أقوى بكثير: "إنّنا نواجه استقطابًا داخليًا، حيث يرفض الناس حتى السماع إلى الحديث عن الشريعة، لأنهم استوعبوا التشهير الذي تقوم به وسائل الإعلام بهذا المفهوم"، أوضح مشارك مغربي. وعلى الرغم من ذلك، يحاول السلفيون تجنّب المواجهة وينادون بالحوار مع العلمانيين لأنهم "يتصرّفون بحسن نية". وقد تأتّت عن هذا الموقف نتائج إيجابية حيث شارك السلفيون والعلمانيون في مظاهرات معًا بروح إيجابية وشارك بعض العلمانيين حتى في الجهود التي أفضت إلى الإفراج عن السجناء السياسيين من التيّار السلفي.

في تونس أيضا هناك خلاف بين المشروع الديني والمشروع غير الديني، أفاد مشارك تونسي. "يبدو أنّ العلمانيين في تونس لديهم هدف إقصاء أيّ مرجعية للإسلام"، فالمشروع العلماني، حسب هذا المشارك، يرفض بشدّة أيّ شيء له علاقة بالدين.

2.4.4. التنوّع

تطرّق هذا الجزء من النقاش لمسألة الأقليات (العرقية أو اللغوية أو الدينية أو الأيديولوجية، إلخ.) والمرأة في شمال أفريقيا وطُرحت فيه قضية مكانتهم في المجتمع وموقف وسلوك الأغلبية تجاههم. واتفق جميع المشاركين على الحاجة لاحترام وحماية حقوق الأقليات الدينية.

كما اتفق المشاركون السلفيون على أنّ الإسلام يرقّي مساهمة المرأة في بناء المجتمع. واقتباسًا من كتاب ألّفه عن دور المرأة، أوضح مشارك من المغرب كيف أنّ الإسلام يدافع عن تعليم المرأة. كما سلّطوا الضوء على ضرورة إعادة النظر في الإدراك الخاطئ المتعلّق بمكانة المرأة في المجتمعات المسلمة، وضرورة التعاون مع الأصدقاء الإنجيليين الذين يمكنهم المساعدة على إيجاد سبل لتوضيح هذا الأمر في الخارج. وأعرب المشاركون السلفيون والانجيليون عن احترامهم المشترك لدور المرأة في الأسرة كأمّ والحاجة إلى حماية المرأة من الاستغلال وسوء المعاملة.

في مصر يحدّد الدستور أهمّ النقاط المتعلّقة بالأقليات كالأقباط، لكن بعض القساوسة شعروا بالقلق من أنّ الإشارة إلى الشريعة في المادّة الثانية قد تعني تطبيق الشريعة على الأقباط. و"سمحت الاجتماعات بتوضيح الأمور وتأمين الدعم القانوني بحيث يكون حتى الملحِدون والوثنيون في أمان.

وكان من الضروري القيام بنقاشات وجهًا لوجه وعدم ترك التعامل مع هذه القضايا الحساسة لوسائل الإعلام فقط". وناقش السلفيون المصريون ما تعنيه المواطنة في ظلّ حكومة إسلامية، والتزموا بحماية الكنائس ودرء الفتنة. وعلى الرغم من أنّ الوقائع في الميدان تُثبت التعايش الجيّد إلا أنّ وسائل الإعلام توحي بالعكس.

في ليبيا لا يزال يُطرح السؤال عن ما يعنيه مفهوم "الأقلّيات"، لكونه مرتبط في أذهان الناس بالأقليات الدينية فقط. وشرح مشاركٌ من ليبيا بأنه "لا توجد هناك أقليات. هناك ديانة واحدة والجميع شريك في البلاد".

خلُص مشارك من تونس إلى أنّ حماية الحقوق المكفولة للأقليات الدينية قد جاء بها الإسلام، وبأنّ الحال كذلك في تونس. لكنه أوضح بأنّ ذلك لا ينطبق على "الأقليات الفاسدة التي تسيء للطبيعة الإسلامية لمجتمعاتنا مثل المثليين جنسيًا وممارسي البغاء وأنصار الشيطان". كما تمّت الإشارة إلى أنّ وضعية المرأة في تونس جيّدة فهي تحتلّ أغلبية مناصب الشغل.

وأشار باحث مغربي إلى أنّ هناك ظروف جيّدة وتسامح تجاه الأقليات الدينية في بلده. وأردف قائلًا: "موقفنا واضح: في حالة السلم لا يأمرنا الله بمهاجمة من لم يعتدِ علينا. وحتى في حالة الحرب لا يأمرنا الله بأن نكون أول من يبادر بالعدوان".

3.4.4. التعامل مع الغرب

في الحوار الخاص بعلاقة السلفيين مع الغرب، أسِف الكثير من المشاركين لعدد من المواقف والسلوكات الغربية تجاه التيار السلفي وتجاه المسلمين بصفة عامة، مثل "المعايير الغربية المزدوجة" و"التصورات الخاطئة عن حقوق المرأة في العالم الإسلامي" و"الاتهامات بالإرهاب الممنهجة وغير العادلة " و"الاعتداءات المتكرّرة ضد الأمة لاسيما في العراق". وفيما يتعلّق بالقضية الأخيرة أعرب العديد من المشاركين من شمال أفريقيا عن مشاعر الاستياء القوية الناجمة عن جرح حرب العراق العميق الذي لم يندمل بعد والمعبّرة عن عبء الظلم والإهانة التي شعرت بها الشعوب العربية.

أهمية الحوار مع الغرب

سلّط أغلب المشاركين الضوء على أنّ العلاقة مع الغرب قضية ملحّة يتعيّن معالجتها بطريقة بنّاءة ورحّبوا بالاتصال مع الميسّرين السويسريين كجسور ممكنة تساعد في تجاوز الحلقة المفرغة للاعتداءات ضد الإسلام وردود الأفعال الغاضبة والعنيفة. وعبّر جميع المشاركين عن أسفهم لوجود أفكار مسبقة ونمطية لدى كلّ طرف عن الآخر، ووافقوا على أنّ مثل هذه اللقاءات ضرورية لإجراء النقاشات الصادقة وتحديد أوجه الاختلاف وإيجاد أرضية مشتركة لخدمة الصالح العام.

وتمّ الإقرار بضرورة التواصل المباشر مع صنّاع القرار في الغرب عِوضًا عن التواصل عبر وسائل الإعلام أو عبر فاعلين قد ينزعون إلى تشويه الاتصال، بالإضافة إلى ضرورة وضع قنوات اتصال مباشرة مع الأطراف الفاعلة في الغرب والحضور في وسائل الإعلام بصورة منتظمة للحديث بلا هوادة عن القضايا الملحّة.

كما تمّ التطرّق إلى القضية المتعلّقة ببناء الثقة بين الغرب والسلفيين. وتمّت الإشارة إلى أنه يمكن الوصول إلى مستوى معقول من الثقة "ليس من خلال إرضاء الغرب ولكن من خلال الصراحة والصدق والحقيقة"، بتعميق الفهم المتبادل وترحيب البعض بالبعض الآخر كأصدقاء، بحيث يرى كلّ واحد الآخر كمؤمن، وعبر تهديم الصور النمطية عن الآخر. وأضاف أحد المشاركين أنه يمكن للثقة أن تنشأ من خلال التقمّص الوجداني الذي يعني "فهم هُوية الآخر ونضاله ومعتقده".

كما تمّ التأكيد على أهمية تعزيز التجارب الإيجابية والنجاحات بما في ذلك "إعادة النظر في الدراسات الاستشراقية الغربية والتقارير الإعلامية التي تُبني عليها السياسات الغربية والعمل على تغيير السياسيات المتحيّزة ضدّ الإسلام". وأشار المشاركون إلى أنّ هناك أرضية مشتركة كبيرة يمكن أن تُعتبر أساسًا للحوار البنّاء. وذكّر مشارك من ليبيا بأنّ أغلب الاتفاقيات الدولية لا تتعارض مع الإسلام، بما أنّ الجميع يؤمن بالحرية والكرامة والعيش في مجتمع يسوده الرفاه، لكن هذا التبادل يقتضي الإرادة الصادقة و"النية الحسنة التي تُعتبر حيوية ويمكن أن تحدّد نجاح مسار التفاهم والاحترام".

كما ألحّ المشاركون على ضرورة بناء علاقة مع الغرب مبنيّة على المساواة في التعامل والسيادة والاحترام وبأنّ النصح مرحّبٌ به فقط إذا كان مبنيًّا عن قناعة وليست له أية اعتبارات جيوسياسية.

وحسب المشاركين الإنجيليين، فإنّ الإيمان يقتضي هذا النوع من الحوار، إذ شرح أحدهم كيف أنه تحاور مع أشخاص عنيدين سياسيا ودينيا. وفي معرض الحديث عن الاختلافات بين المعتقدَين الإسلامي والمسيحي، دعا المشارك إلى تحديد واحترام الاختلافات والقواسم المشتركة من أجل بناء الثقة. وتمّ التذكير بأنّ التوتّرات والصور النمطية بين الغرب والمنطقة العربية كبيرة لدرجة "أنّ شعوبنا قد لا تفهم حوارنا اليوم. ولأننا نحاول التقرّب إلى الله جلّ جلاله في سياقات معقّدة، فإنّنا نحتاج أيضا إلى مناقشة وتحليل أدوارنا في سياق المواقف السياسية الصعبة لبلداننا".

ردود الفعل تجاه التشهير بالإسلام

في اليوم الثالث من الورشة، توالت أخبار عن صدور فيديو مسيء للإسلام أُنتج في الولايات المتّحدة الأمريكية وانتشر انتشار النار في الهشيم على شبكة الانترنت. ومن بين الاحتجاجات في العالم العربي، كان هناك هجوم على القنصلية الأمريكية في بنغازي أسفر عن مقتل العديد من الأشخاص من بينهم السفير الأمريكي.

وكما صرّح به مشارك من تونس، فإنّ هذا النوع من الاستفزاز يُعتبر على الصعيدين الدولي والداخلي "مخزٍ ويمكن أن يفتح المجال أمام حروب أهلية. فمثل هذه الصور المسيئة للغاية والمهينة للمسلمين تغذّي غضب الشباب في تونس إلى درجة أنّ الشيوخ دعونا للمساعدة على تهدئتهم".

أعرب العديد من المشاركين عن شجبهم للهجمات ضد القنصلية الأمريكية، واتفق الجميع بأنه عليهم أن يجدوا معًا السبل للحيلولة دون تكرار هذا النمط من الأحداث المأساوية. بالفعل ليست هذه المرّة الأولى التي "يبذل فيها المؤلّفون والمخرجون والكاريكاتوريون جهودًا عن قصد لاستفزاز الاسلام والتشهير به"، وأصبح من المستحيل التخفيف من حدّة الاحتجاجات التي تتحوّل إلى صدامات عنيفة. فالجهود الدنيئة للاستفزاز تنجح دائما في إثارة ردود الأفعال العنيفة وهي بالضبط النتيجة التي يبحث عنها المستفزّون ويتعيّن تفاديها مهما كان الثمن لأنّها تعزّز أيضا الصور النمطية حول المسلمين.

وقد أُشير إلى نموذجٍ من سلوك الرسول (ص) لتبيان أن الفهم والصبر والاحترام هي دائمًا أفضل الردود، ففي الحالات التي ينوي فيها شخص ما إيذاء المسلمين من المستحسن أن "لا نبدأ أبدًا بالشر: فإذا كان الشخص الذي قام بالإساءة ينوي شرًّا سيعود عليه شرّه وإن كان ينوي خيرًا فسيلقى خيرًا".

اتفق جميع المشاركين السلفيين على أنّ المراجع الإسلامية مفيدة في دعوتها الدائمة إلى تجنّب العنف. هذا يعني أنه من المهمّ العمل مع المجتمع الذي ينتمي إليه الإنسان للمساعدة على المقاومة وعلى القيام بأفضل ردود الفعل وأنجعها والمتمثلة في "الردّ على الخطاب المعادي بأن نقول الحقّ عن رسولنا الكريم وما يعنيه بالنسبة للمسلمين".

وذكر العديد من المشاركين بأنّ الخطابات الموجّهة للجماهير يمكن أن تكون مفيدة في توضيح المواقف والتعبير عن السخط، وبأنه يمكن للبيانات المشتركة التي تصدر عن مختلف المجموعات الدينية أن تشكّل ردًّا جيّدًا لأنّ التنديد المشترك والمسموع هو أفضل السبل للتذكير بأنّ هذه الأفعال لا تُرتكب باسم مجتمعاتنا أو بلداننا وبأننا لن

نسمح للأشخاص الذين يتبنّون خطابًا عدائيًا دنيئًا أن يتسبّبوا في اضطرابات واسعة النطاق.

5. ما هي تحدّيات الحياة السياسية وما هي كيفية التعامل معها؟

أكّد المشاركون أنّ أحد أهمّ التحدّيات التي يواجهها السلفيون تتمثّل في الصورة النمطية الخاطئة والوصم والقدح الذي تبثّه غالبًا وسائل الإعلام مدعومةً في ذلك من طرف خصومهم السياسيين أو الأنظمة بهدف النَيْل من مصداقيتهم.

قد يأخذ ذلك شكل صورة مشوّهة عن الإسلام وعن الشريعة بشكل خاص حيث يتمّ تقديمها على أنها تقتصر على مسألة إقامة الحدود. وقد يأخذ أيضًا شكل القذف من خلال تصوير السلفيين على أنهم متطرّفون بل وإرهابيون. وغالبًا ما يتمّ الربط بين السلفيين وأحداث العنف دون أيّ دليل على تورّطهم فيها ويتبيّن أحيانًا أنّ هذه الأحداث كانت من ورائها جماعات إجرامية بل وحتى أجهزة مخابرات على شاكلة ما كان يحدث في جزائر التسعينيات.

واتفق المشاركون السلفيون على أنّه لرفع هذا التحدّي يتوجّب عليهم تحسين مهارات الاتصال لديهم، لاسيما طريقة مخاطبة وسائل الإعلام وكذا التروّي في اختيار المصطلحات التي يستخدمونها. ويقتضي ذلك بناء صورة واضحة لا تشوبها شائبة وكذا تبنّي لغة الحوار.

كما يتعيّن عليهم أيضًا إيجاد إمكانية للوصول إلى وسائل الإعلام خاصة القنوات التلفزيونية المحظورة عليهم. وقد أظهرت تجربة الجماعات السلفية في مصر أنه بعد تجاهُلها في بادئ الأمر حقّقت نجاحات سياسية بدأت نتائجها تتجلّى في الميدان: وهذا ما أدّى إلى تحسّن تمثيلها في وسائل الإعلام كمًّا وكيفًا، وأيضًا إلى دعوتها إلى معظم السفارات الغربية في القاهرة. يؤكد هذا المثال أنه يجب على الأحزاب السلفية أن تبادر بالاعتماد على النفس كخطوة أولى.

وأكّد مشاركٌ من ليبيا على "ضرورة أن نُطلع الناس على مواقف السلفيين المتوازنة بشكلٍ أكبر، وأن ننأى بأنفسنا بوضوح عن المنكرات التي يرتكبها أناسٌ لا نتّفق معهم وأن نقوم بنشاطات تبرهن على التزامنا بمواقفنا". وأضاف مشاركٌ أخر من ليبيا: "لسنا بحاجة لإظهار صورة أفضل عن أنفسنا، ينبغي علينا السماح بنقل الواقع ليس إلّا".

كما أكّد المشارك المصري على "ضرورة تقديم مواقف أحزابنا بشكل واضح، خاصّة للحدّ من الشائعات عندما يُتّهم السلفيون ظلمًا بأعمال العنف. ومن الأهمية بمكان أيضًا أن نُعرب عن تضامننا علنًا، مثلما حدث في مصر عندما تدخّل رسميا مسؤولو حزب النور للدفاع عن المسيحيين. كما يجب علينا التأكّد من أنّ وسائل الإعلام تغطّي الجهود التي نبذلها في مواجهة العنف". وأضاف: "علينا أن نردّ على كافّة الأحداث سواءً كانت وطنية أو دولية، بردودٍ علنية مُحكمة الدراسة وبتعليقات منتقاة الألفاظ".

أظهرت التجربة المصرية أنه يمكن للتواجد القويّ في الميدان وللشرعية الاجتماعية التقليل من وقع الإعلام المغرض ودحض المخاوف التي تصوّر السلفيين على أنهم إرهابيون.

قدّم مشاركٌ أمريكي مسلم مثالًا على ذلك الانطباع المغرِض في الولايات المتحّدة الأمريكية إزاء الثقافة الإسلامية المتّهمة، من دون وجه حقّ، بعدم رفضها للإرهاب، وبعدم احترام حقوق المرأة والأقليات الدينية. وأضاف أنه على الرغم من كون هذه المخاوف قد تعدّ مجحفة، إلّا إنه من المهمّ تصحيحها من خلال خطاب قائم على الحجّة.

اتفق المشاركون الإنجيليون على أهمّية التعلّم من أخطاء الماضي وتطوير خطاب يستند بدرجة أكبر على القِيم منه على النبرة الصدامية. وبالفعل فمن شدّة انشغال الإنجيليين بالقِيم المحافظة، أصبحوا لا يُعرفون إلّا بكلّ ما هم ضدّه، فيُنال من مصداقيتهم لمناهضتهم للمثلية الجنسية وللإجهاض ومعاداتهم للإسلام. كان عليهم إذن توضيح مصطلح "الأصولية"، بتصحيح الضرر المرتبط به وربطه بقِيم حماية الأسرة والزواج والحياة.

6. ما هي المسؤوليات التي تقع على عاتق المتديّنين فما يتعلّق بترقية السلم؟

على الرغم من الفرص التي أتت بها التغييرات السياسية الأخيرة في المنطقة العربية، تبقى هناك تحدّيات هامّة لترقية السلم داخل البلدان وبينها. وقد أعطى المشاركون بعض الأمثلة عن التزامهم بالوقاية من الخلافات والتخفيف من حدّة التوتّرات.

وكما سبق ذكره، يمكن أن تكون حدّة النزاعات والخلافات الداخلية عالية: "هناك فجوة هائلة تفصل أولئك الذين لديهم رؤى علمانية جدًّا وأولئك الذين يروّجون للإسلام وللثقافة الإسلامية. إنّنا نناضل من أجل الإبقاء على علاقة بنّاءة وأن تُصان الكرامة ويُحفظ الاستقرار في البلد".

هناك قضيتان ترتبطان ارتباطا وثيقًا ببعضهما البعض وهما الأمن والاستقرار واستمرار الظلم والاضطهاد، فمثلًا في ليبيا، يتمّ "استعمال فلول القوات الموالية للنظام البائد من قِبل بعض القبائل في بعض الخلافات القديمة. وقد حاولت الجماعات السلفية مساعدة القبائل على المصالحة من خلال المرافقة والتوعية والمؤتمرات والكتيّبات التي تذكّر بمبادئ المصالحة. هذه الجهود هامّة على الرغم من أنّ نجاحها كان محدودًا بسبب العديد من العراقيل". وفي المغرب لم يتمّ الإفراج عن جميع السجناء السياسيين، في حين أنّ جهود الحوار مع الدولة كانت لها بعض الآثار الإيجابية، ولا تزال هناك "اضطرابات اجتماعية بسبب تعامل النظام السياسي السابق مثلًا مع تفجيرات الدار البيضاء. رغم أنّ الجماعات السلفية في المغرب وجّهت رسائل تندّد فيها بوضوح بهذه الأحداث." أمّا بالنسبة للشأن الدولي، فإنّ الرئيس المصري وكذا الأحزاب السلفية كانوا صريحين حول الوضع في سوريا، من خلال "الدعم الرسمي وغير الرسمي للمقاومة ودعوة المجموعة الدولية للعمل على وقف المجازر".

كانت هذه بعض الأمثلة التي توضّح البعد الإقليمي والعابر للحدود لمسؤولية تعزيز السلم والأمن.

7. تقييم وتوصيات عملية

عبّر المشاركون عن تقديرهم للورشة التي كانت أوّل فرصة لالتقاء ممثّلي الأحزاب السلفية في المنطقة فيما بينها؛ بالإضافة إلى لقاء الميسّرين السويسريين والمشاركين من القارتين الأمريكيّتين، بما في ذلك مواطنين من الولايات المتحدة الأمريكية. لقد كان لهذا الاجتماع وقعًا رمزيًا وكان مهمًّا لكلّ المشاركين أن يعبّروا بوضوح عن مبادئ النقاش، وكذا بإرساء سياق الثقة الضروري الذي يسمح بالتفاعل من دون تنازل. وتمّت الإشارة إلى أهمّيّة هذه الورشة وبذل الجهود في التقريب بين الأفراد والمجموعات التي كانت متباعدة من قبل. فإنّ عقد مثل هذا الاجتماع في حدّ ذاته كان نجاحًا كبيرًا. لقد عبّر المشاركون عن رغبتهم في مواصلة النقاشات بين السلفيين وكذا مع الإنجيليين بغرض تعميقه أكثر، مع التركيز على الحاجة إلى التعاون ضمن مشاريع عملية.

على المستوى السلفي داخليًا

أكّد كلّ المشاركين السلفيين على أنّ الاتّصال وتبادل التجارب هي أولويات مهمّة وأنّ التدارس مع مجموعات أخرى من المنطقة هو أمر موصى به كثيرًا. وهناك أمر آخر يمكن أن يكون ذا أولوية كبيرة في التعاون السلفي الداخلي وهو التدريب. فهنالك حاجة إلى تدريب عمليّ على الحياة السياسية وكذا إلى رفع وعي القواعد الانتخابية وتقويتها.

بين السلفيين وغيرهم من الفاعلين السياسيين ذوي المرجعية الدينية

أكّد المشاركون الإنجيليون على أنّ النقاشات تستحقّ فعلًا أن تستمرّ، ربّما بالتركيز على مصر أين حدث تقدّم كبير في ما يخصّ الاندماج السياسي. واقترح أحد الإنجيليين "التركيز على الردّ على الأخبار الدولية الدافعة للاستقطاب والعمل على بناء مواقف مشتركة، حتى ولو أنّ الأمر قد يبدو طموحًا في الوقت الراهن. كما أنّ مواصلة التعاون بمحاولة صياغة بيانات تبيّن القِيم المشتركة قد يكون مفيدًا لربح الدعم لتعاوننا من طرف قواعدنا الانتخابية. كما يجب التفكير في إيجاد فضاءات أخرى للتبادل، مثلًا في باكستان أو حتى في الولايات المتّحدة خلال زيارة تتطلّب تحضيرًا متأنّيًا من أجل تلافي ردّات الفعل السلبية وانعكاساتها على سمعة الطرفين، بالنظر إلى الصور النمطية المنتشرة بقوّة".

ملحق: الشيخ راشد الغنوشي يخاطب الورشة

رحّب المنظمون وممثّلو المنظمات المشاركة بالشيخ راشد الغنوشي، رئيس حزب حركة النهضة، الذي دُعِي إلى عشاء الورشة كضيف شرف، وعبّروا له عن تقديرهم وشكرهم لحضوره. كما طمأن المشاركون التونسيون الشيخ الغنوشي على أنّهم يريدون أن يكونوا شركاء إيجابيين لحزب النهضة، في حين تمنّى له باقي المشاركين النجاح في مهمة حزبه.

بدوره رحّب الشيخ الغنوشي بالحضور في تونس وعبّر عن سروره بلقاء إخوة من دول شمال أفريقيا تمرّ بنفس مسار الانعتاق. وأشار إلى أنّ مثل هذا الاجتماع ما كان ليتمّ قبل سنتين إذ أنّ غالبية المشاركين كانوا سيُلقَون في السجن ويُعذّبون. كما عبّر عن سعادته بلقاء إنجيليين من أجل إثراء معرفة العالم. وبحسبه فإنّ ذلك يُثبت بأنّ الولايات المتّحدة الأمريكية ليست منظومة واحدة متراصّة بل فيها الخير والشر كما في أيّ مكان آخر في العالم.

وأكّد الشيخ الغنوشي على موضوع الحرية: لقد خلق الله الحرية ولكن قوى الشرّ تحاول تقييدها، لذلك فإنّ النضال من أجل الحرية ضد المستبدين هو نضال الأنبياء والصالحين من البشر، تمامًا كمثل موسى في مواجهة فرعون.

وبالنسبة للشيخ راشد فعلى الأحزاب السياسية الإسلامية أن تتكلّم عن الحرية باعتبارها قضية أساسية، وذلك متوافقٌ مع نظرته بأنّ الحرية تسبق تطبيق الشريعة. كما نصح الحضور بأن يتذكّروا التجربة المريرة مع الاستبداد وأن يتمتّعوا بالحرية ويتمسّكوا بها: "لا تسمحوا أبدًا برجوع الاستبداد، ولا تُستدرَجوا إليه أبدًا". وأضاف: "لا تخافوا من الحرية. إنها ليست عدوّ الإسلام. تذكّروا أنّ الإسلام عانى أكبر ما عانى تحت نير الاستبداد، كما كان الحال في الاتحاد السوفييتي". وفي الأخير ختم بقوله أنّ: "مفتاح التعامل مع الحرية هو القدرة على إدارة الخلاف بشكلٍ سلمي ولاعنفي".